نظرة تاريخية

فى حدوث المذاهب الأربعة

الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى

وانتشارها

بقلم العلامة المحقق الاستاذ

أحمد تيمور باشا

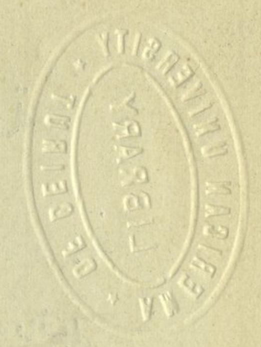
رحمه الله

القاهرة

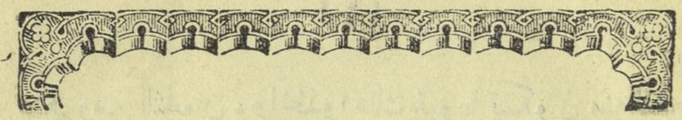
١٣٥١

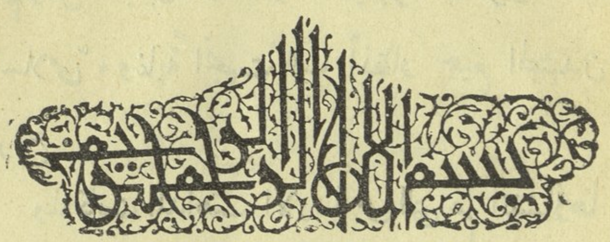
المطبعة السلفية ومكتبتها

لصاحبهما محب الدين الخطيب



الطبعة الثانية





مُقدِّمة النَّاشِر

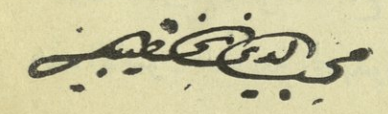
الحمدُ لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين * وعلى آله وصحبه والتابعين * وسلمَ تسليما كثيرا

وبعد فان الشريعة الاسلامية جاءت بسعادتى الدنيا والآخرة لبنى البشر جميعاً ، وقد انتقل المصلح الأعظم ﷺ الى الرفيق الأعلى تاركاً للناس ما إن تمسّكوا به لن يضلّوا : كتابَ الله وسنةَ رسوله ، لأن فيهما تبيانَ كل شىء من الكليات العامة ، وإرشاداً الى أصلين آخرين من أصول التشريع وهما : الاجماع والقياس * وقد اعتمد على هذه الاصول الأربعةِ المجتهدون من الصحابة رضى الله

عنهم ومن التابعين ، واتخذوا ذلك ينبوعا تكوَّن منه الفقهُ الاسلاميّ ، وغايةً اتجهتْ إليها أنظارُ جميع المجتهدين فى الفروع

ولما كانت المذاهب الاربعة هى التى عمّ انتشارها في العالم الاسلامى وكثر عدد الآخذين بها والمتبعين لها ، رأى الاستاذ العلّامة المحقّق صاحب السعادة أحمد تيمور باشا ـ حفظه الله ونفعَ الامةَ به ـ أن يضع بين أيدى القرّاء خلاصة تاريخية لكيفية حدوث هذه المذاهب الاربعة وانتشارها فى الاقطار وذِكرِ مَن انتشرت على أيديهم ، مستمدّاً ذلك من أوثق المصادر وأصدقها . وقد تفضل بهذا البحث الممتع على مجلة الزهراء فنشر فى أوائل سنتها الثانية . ثم رأيتُ أن أفرده فى رسالة مستقلة تسهيلا لطالبيه وتعميما لنفعه

القاهرة : ١٥ رجب ١٣٤٤



نظرة تاريخية

في حدوث المذاهب وانتشارها

ونريد بها الاربعة : الحنفيّ والمالكيّ والشافعيّ والحنبليّ ، المعمول بها عند جمهور المسلمين الى اليوم ، وهى التى كتب لها البقاء والتغلّب على سواها من مذاهب أهل السنّة كمذهب سفيان الثوريّ بالكوفة والحسن البصريّ بالبصرة والاوزاعيّ بالشام والأندلس وغيرهما وابن جرير الطبريّ وأبى ثور ببغداد وداود الظاهريّ فى كثير من البلدان وغير ذلك من مذاهب فقهاء الأمصار

وكانت الفتيا قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ فى عصر الصحابة عن القرّاء منهم ، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلالاته[1] ، فلما انقضى عصرهم وخلف من بعدهم التابعون اتبع

(١) عن ابن خلدون

أهل كلّ مصر فتيا من كان عندهم من الصحـابة لايتعدّونها إلا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم . فاتبع أهل المدينة في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمر وأهل الكوفة فتاوى عبد الله بن مسعود وأهل مكة فتاوى عبد الله بن عباس وأهل مصر فتاوى عبد الله ابن عمرو بن العاص (١)

وأتى بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم ، فاتبع أهل كلّ مصر مذهب فقيه في الاكثر . ثم قضت أسباب بانتشار بعض هذه المذاهب في غير أمصارها وبانقراض بعضها ، فلم يطل العمل بمـذهب الثوري والبصري لقلة اتباعهما وبطل العمل بمذهب الاوزاعيّ بعـد القرن الثاني وبمذهب أبي ثور بعد الثالث وابن جرير بعد الرابع (٢) كما انقرض غيرها من المذاهب ، إلا الظاهريّ فقد طالت مدته وزاحم الاربعة بل جعله المقدسيّ في أحسن التقاسيم رابع المذاهب في زمنه أي في القرن الرابع بدل الحنبليّ وذكر الحنبليّة في أصحـاب الحديث وعدّه ابن فرحون في الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها في زمنه أي في القرن الثامن ثمّ درس بعد

---

(١) عن المقريزي والديباج (٢) عن الديباج

ذلك ولم يبق الاّ الاربعة ومذاهب أخرى خاصّة بطوائف من المسلمين لايعدّها جمهورهم من مذاهب أهل السنّة ولهذا لم نتعرض لذكرها . وذكر ابن خلدون أنّ الظاهريّ درس بدروس أئمته وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا فى الكتب وربما يعكف متكلّفو انتحاله عليها لاخذ فقههم منها فلا يحلون بطائل ويصيرون الى انكار الجمهور عليهم ، ولم يبق الا مذهب أهل الرأى من العراق وأهل الحديث من الحجاز

المذهب الحنفى

هو أقدم الاربعة. وصاحبه الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان الكوفىّ رضى الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ على الاصحّ . وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الامام، ثم انتشر فى سائر بلاد العراق . ويقال لاصحابه أهل الرأى لأن الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه . ولامامهم مقام فى الفقه لايلحق شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعى (١) ويذكر أصحاب طبقات الحنفيّة أن هذا المذهب شاع فى بلاد بعيدة ومدن عديدة، كنواحى بغداد ومصر والروم وبلخ وبخارى وفرغانة وبلاد فارس وأكثر بلاد الهند والسند وبعض بلاد اليمن وغيرها، وفى طبقات للحنفيّة عندنا (نرجح انها المرقاة الوفيّة للفيروز ابادىّ) أنَّ أصحاب أبى حنيفة الذين دوّنوا مذهبه أربعون رجلا منهم أبو يوسف وزفر وأنّ أول من كتب كتبه أسد بن عمرو . وفيها أيضاً أن نوح بن أبى مريم عرف بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبى حنيفة فى قولٍ وقيل

(١) عن ابن خلدون

لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة

ثم لما قام هارون الرشيد فى الخلافة وولّى القضاء أبا يوسف صاحب أبى حنيفة بعد سنة سبعين ومائة أصبحت تولية القضاة بيده فلم يكن يولّى ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الى أقصى عمل إفريقية الا من أشار به ، وكان لايولي الا أصحابه والمنتسبين الى مذهبه ، فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم وفشا المذهب فى هذه البلاد فشواً عظيما كما فشا المالكى بالاندلس بسبب تمكن يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم المنتصر حتى قال ابن حزم « مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان : الحنفى بالمشرق ، والمالكىّ بالاندلس »(١)

ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد لايثار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء حتى تبدلت الاحوال وزاحمته المذاهب الثلاثة كما سيأتى فى الكلام عليها . وبلغ من تمسكهم به فى القضاء أن القادر بالله استخلف مرة أبا العباس أحمد بن محمد البارزى الشافعىّ عن أبى محمد بن الاكفانى الحنفىّ قاضى بغداد باشارة أبى حامد الاسفراينى فأجيب اليه بغير رضا الاكفانى وكتب

(١) عن المقريزي ونفح الطيب وبغية المتملس

أبو حامد الى السلطان محمود بن سُبُكتكين وأهل خراسان : ان الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن ، فاضطر الخليفة الى جمع الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفرايني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزى الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزى وأعاد الامر الى حقه وأجراه على قديم رسمه وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم أن لا يلقوا أبا حامد ولا يقضوا له حقاً ولا يردوا عليه سلاماً ، وخلع على أبي محمد الاكفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ٣٩٣ واتصل ببلاد الشام ومصر (١)

وكان الغالب على إفريقية السنن والآثار الى أن قدم عبد الله ابن فرّوخ أبو محمد الفارسيّ بمذهب أبي حنيفة ثمّ غلب عليها لمّا

---

(١) عن المقريزي

ولّى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان [١] ثمّ بقي غالباً عليها حتى حمل المعزّ بن باديس أهلها على مذهب مالك [٢] وهو الغالب الى اليوم على أهلها إلاّ قليلاً منهم يقلّدون المذهب الحنفى . وفى الديباج لابن فرحون أنّ الحنفيّ ظهر ظهوراً كثيراً بافريقية الى قريب سنة ٤٠٠ فانقطع ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديماً بالاندلس ومدينة فاس . وفى أحسن التقاسيم للمقدسى أن أكثر أهل صقلّيّة حنفيّون وذكر أيضاً أنه سأل بعض أهل المغرب « كيف وقع مذهب أبى حنيفة رحمه الله اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟ قالوا : لمّا قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده

(١) عن المقريزي . والمراد بافريقية ما يشمل طرابلس وتونس والجزائر وجعلها بعضهم أقل من ذلك وتفصيل الخلاف فيها ليس هذا موضعه . ويستفاد من معالم الايمان أن ابن فروخ سمع من الامامين مالك وأبي حنيفة وكان اعتماده على مالك ولكنه كان يميل الى قول أهل العراق اذا ظهر عنده صوابه وسمع ابن الفرات من مالك وأصحاب أبي حنيفة ونشر مذهب أهل العراق بافريقية لسبب ترك صاحب المعالم ذكره . وذكر ابن خلدون أنه كتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك

(٢) عن الكامل لابن الاثير وكانت ولاية المعز سنة ٤٠٧ وتوفى سنة ٤٥٣ .

عليلا فلمّا طال مقامه عنده قال ارجع الى ابن وهب فقد أودعته علمي . كفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير فقالوا فتىً بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . قالوا فرحل اليه وأقبل عليه محمّد إقبالاً لم يقبله على أحد ورأى فهماً وحرصاً فزقّه الفقه زقّاً . فلما علم أنه قد استقلّ وبلغ مراده فيه سيّبه الى المغرب فلمّا دخلها اختلف اليه الفتيان ورأوا فروعاً حيّرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ماطنّت على أذن ابن وهب وتخرّج به خلق وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب . قلت فلِمَ لم يفشُ بالاندلس ؟ قالوا لم يكن بالاندلس أقلّ منه هاهنا ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدى السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة . فقال ومالك ؟ قالوا من المدينة . قال عالم دار الهجرة يكفينا . فأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة وقال لاأحبّ أن يكون فى عملى مذهبان . وسمعت هذه الحكاية من عدّة من مشايخ الاندلس » انتهى. قلنا وفى هذه القصة مالايخلو من نظر فانّ وهب بن وهب هذا لانعلم أحداً ذكره فيمن أخذ عن الامام مالك وإنمّا الآخذ عنه عبد الله بن وهب وهو لم يرحل الى المغرب بل كان بمصر ومات بها . وأما أسد بن عبد الله فصوابه على مايظهر

أبو عبد الله ويكون المراد به أبا عبد الله أسد بن الفرات فهو الذى لقى محمد بن الحسن وتفقه بأصحاب الامام أبي حنيفة ونشر مذهبه بافريقية وذلك بعد أن رحل الى الامام مالك وأخذ عنه ولم يصادفه عليلاً فأحاله على ابن وهب كما ذكروا بل قال له لما استزاده بعد فراغه من السماع منه: حسبك ما للناس ، أو حسبك يا مغربى إن أحببت الرأى فعليك بالعراق

وكان أهل مصر لا يعرفون هذا المذهب حتى ولي قضاءها اسماعيل بن اليسع الكوفى من قبل المهدى سنة ١٦٤ و هو أوّل قاض حنفى بمصر وأوّل من أدخل اليها مذهب أبى حنيفة وكان من خير القضاة إلاّ أنه كان يذهب الى إبطال الأحباس فثقل أمره على أهل مصر وقالوا أحدث لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا فعزله المهدى (١) . ثم فشا فيها بعد ذلك مدّة تمكّن العباسيين إلاّ أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية بل كان يتولاه الحنفيّون تارة والمالكيّون أو الشافعيّون أخرى (٢) الى أن استولى عليها الفاطميّون فأظهروا مذهب الشيعة الاسماعيليّة وولوا القضاة منهم فقوى هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه إلا أنه لم يقض على

(١) عن « طبقات الحنفية » المتقدم ذكرها و « رفع الاصر » للحافظ ابن حجر و « قضاة مصر » لعلى بن عبد القادر الطوخى (٢) عن المقريزي

المذاهب السنيّة فى العبادات لأنهم كانوا يبيحون للرعية التعبد بما يشاءون من المذاهب . قال فى صبح الاعشى : انهم كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح فى الجوامع والمساجد [١] على مخالفة معتقدهم فى ذلك ومذاهب مالك والشافعى وأحمد ظاهرة الشعار فى مملكتهم بخلاف مذهب أبى حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه انتهى . قلنا بل قد أقام وزيرهم أبو علىّ أحمد بن الافضل بن أمير الجيوش قضاة من المالكية والشافعية لمّا حجر على الخليفة الحافظ لدين الله وسجنه فانه أعلن بمذهب الامامية وأقام أربع قضاة : اثنان شيعيّان أحدهما إمامىّ والآخر اسماعيلىّ ، واثنان سنيّان أحدهما مالكى والآخر شافعى ، فكان كل قاضٍ منهم يحكم بمذهبه ويورّث بمقتضاه . فلما قتل أبو علىّ عاد الامر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية [٢] ، ويظهر لنا أن غضّ الفاطميين من المذهب الحنفى لم يكن إلا لانه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم فى المشرق .

---

(١) وقع أن بعض خلفائهم كانوا يمنعون الناس من صلاة التراويح وعاقب أحدهم شخصاً وجد عنده الموطأ . فمراد القلقشندى ما كان متبعاً عندهم فى الغالب (٢) عن المقريزى وغيره

ثم لما قامت الدولة الايوبية بمصر وكان سلاطينها شافعية قضوا على التشيّع فيها وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية وكان نور الدين الشهيد حنفياً فنشر مذهبه ببلاد الشام ومنها كثرت الحنفية بمصر ، وقدم اليها أيضاً عدّة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الايّوبىّ المدرسة السيوفية بالقاهرة وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه فى القوة والكثرة بمصر إلا في آخر هذه الدولة[١] وأول من رتّب دروساً أربعة للمذاهب الاربعة فى مدرسة واحدة الصالح نجم الدين أيّوب فى مدرسته الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١[٢] ثم كثر هذا النوع من المدارس فى الدولتين التركية والجركسية وحدث فى الاولى جعل القضاة أربعة فعاد الحنفية الى القضاء بعد انقطاعهم عنه مدة الفاطميين والاقتصار مدة الايوبيين على نوّاب منهم ومن المالكية والحنابلة عن القاضى الشافعى . ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى الحنفية وأصبح الحنفى مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّى القضاء الا انه لم ينتشر

(١) عن المقريزي

(٢) عن المقريزى وتحفة الاحباب للسخاوى

بين أهل الريف والصعيد[1] انتشاره فى المدن ولم يزل كذلك الى اليوم

أما بدء دخوله فى سائر البلاد الاسلامية فيعسر تعيينه لكل بلد وغاية ما وقفنا عليه من انتشاره فى القرن الرابع ماذكره المقدسى فى أحسن التقاسيم فى كلامه على كل اقليم ومنه يعلم انه كان الغالب على أهل صنعاء وصعدة باليمن والغالب على فقهاء العراق وقضاته وكان منتشراً بالشام تكاد لاتخلو فيها قصبة أو بلد من حنفى وربما كان القضاة منهم ، الا أن أكثر العمل فيها كان على مذهب الفاطمى فى زمنه أى كما كان بمصر . وكان فى اقليم الشرق أى خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها إلا فى بلاد منها ذكرها كان أهلها شافعية . وكان أهل جرجان وبعض طبرستان من اقليم الديلم حنفية . وكان غالباً على أهل دبيل من اقليم الرحاب الذى منه الران وأرمينية واذربيجان وتبريز وموجوداً فى بعض مدنه بلا غلبة . وكان غالباً على أهل الرى من اقليم الجبال وكثيراً فى اقليم خوزستان المسمى قديماً بالاهواز[2]

---

(١) كانوا قديماً يعبرون بالريف عن الوجه البحرى وبالصعيد عن الوجه القبلي فجاريناهم فى ذلك
(٢) هو المسمى الآن بالمحمرة

وكان لهم به فقهاء وأئمة وكبراء . وكان باقليم فارس كثير من الحنفية الا ان الغلبة كانت فى السفيين للظاهرية وكان القضاء فيهم. وكانت قصبات السند لاتخلو من فقهاء حنفية

وفى معجم البلدان لياقوت أن أهل الرى كانوا ثلاث طوائف : شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم ثم فنى أهل المذهبين وغلب الشافعية على ما سيأتى . وذكر أيضاً أن أهل سجستان كانوا حنفية . وذكر ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى أن ملوك بنجالة بالهند كانوا جميعاً حنفية .وسنذكر فى الخاتمة مبلغ انتشار هذا المذهب اليوم فى البلاد

***

ويتبع الحنفية فى العقائد مذهب الامام أبى منصور محمد الماتريدي الحنفى وليس بين أصحابه وأصحاب الامام الاشعرى خلاف الا فى بضع عشرة مسألة . ومنهم أشعرية ولكن على قلة حتى قيل : من المستظرف أن يكون حنفى أشعرياً[١] . والذى فى طبقات السبكى أن الحنفية أكثرهم أشاعرة أعنى يعتقدون عقيدة الاشعرى لايخرج منهم الا من لحق بالمعتزلة وذكر أنه تأمل عقيدة الطحاوى التى زعم انها ما كان عليه الامام أبو حنيفة وصاحباه

---

(١) عن الكامل لابن الاثير والفوائد البهية

فلم يجد فيها الا ثلاث مسائل خالف فيها الاشعرية ثم تصفح كتب الحنفية فوجد المسائل التى يخالفون فيها الاشعرية فى العقائد ثلاث عشرة مسألة منها ست معنوية والباقى لفظى . قلنا وكأنه يريد أن خلافهم فى هذه المسائل لايخرجهم عن كونهم أشعرية وأن تسموا بالماتريدية لتصريحه بعد ذلك بأنها كالمسائل التى اختلف فيها الاشاعرة فيما بينهم ولأن المسائل الثلاث عشرة لم تثبت جميعها عن الشيخ ولا عن الامام أبى حنيفة

المذهب المالكى

نسبة الى الامام مالك بن أنس الاصبحى رضى الله عنه المولود سنة ٩٣ على الاشهر والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ على الصحيح وهو ثانى الاربعة في القدم ويقال لاصحابه أهل الحديث واختص امامه بمدرك آخر للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل أهل المدينة(١)

نشأ بالمدينة موطن الامام ثم انتشر فى الحجاز وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والاندلس وصقلية و المغرب الاقصى الى بلاد من أسلم من السودان . وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع وضعف بالبصرة بعد الخامس وغلب فى خراسان على قزوين وأبهر وظهر بنيسابور أولا وكان له بها و بغيرها أئمة ومدرسون . وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام(٢) وكان خمل بالمدينة فلما تولى قضاءها ابن فرحون سنة ٧٩٣ أظهره بعد خموله(٣)

وأول من قدم به الى مصر على ما في خطط المقريزى عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح ثم نشره بها

---

(١) عن ابن خلدون (٢) عن الديباج (٣) عن نيل الابتهاج

عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر بها أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر
أصحاب مالك بها ولم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر ،
ويوافقه ما في الاوائل للسيوطي ولكنه ذكر في حسن المحاضرة
نقلا عن الديباج أنه عثمان بن الحكم الجذامي ، وعبارة الديباج
« مشهور من أصحاب مالك المصريين وهو أول من أدخل علم
مالك بمصر ، ولم تُنبت مصر أنبل منه » الى أن قال : وتوفي سنة
١٦٣ . وكلا القولين صحيح ففي ترجمة عثمان الجذامي من تهذيب
التهذيب للحافظ ابن حجر مانصه « وقال ابن وهب أول من قدم
مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد»
انتهى . فالظاهر انهما بعد أن أتما الاخذ عن الامام عادا معاً الى
مصر ونشرا بها علمه

وفي خطط المقريزي أن هذا المذهب ما زال معمولا به
بمصر مع الشافعي ويولى القضاء من يذهب اليهما أو الى مذهب
أبي حنيفة الى أن قدم القائد جوهر ، فمن حينئذ فشا بديار مصر
مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ماخالفه . قلنا ثم
عاد الى الانتعاش في الدولة الايوبية وبنيت لفقهائه المدارس ثم
عمل به في القضاء استقلالا لما أحدث الظاهر بيبرس في الدولة التركية

البحرية القضاة الاربعة وصار قاضيه الثانى فى المرتبة بعد الشافعى. وكان القضاة في الايوبية للشافعية ولقاضيهم نواب من المذاهب الثلاثة . ولم يزل منتشراً بمصر الى الآن معادلا للشافعى .وأكثر انتشاره فى الصعيد

وكان الغالب على أهل إفريقية السنن ثم غلب الحنفى كما تقدم فلما تولى عليها المعز بن باديس سنة ٤٠٧ حمل أهلها وأهل ماوالاها من بلاد المغرب على المذهب المالكى وحسم مادة الخلاف فى المذاهب [١] فاستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد المغرب وفى ذلك يقول مالك بن المرحل المالكى شاعر المغرب :

مذهبى تقبيل خدّ مُذْهَبٍ سيّدى ماذا ترى فى مذهبى
لا تخالف مالكاً فى رأيه فعليه جلّ أهل المغرب [٢]

وهو الغالب على هذه البلاد الى اليوم. وذكر الفاسىّ فى العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين أن المغاربة كلهم مالكية إلا النادر ومنهم من ينتحلون الاثر

وكان الغالب على أهل الاندلس مذهب الاوزاعى وأول من أدخله بها صعصعة بن سلام لما انتقل اليها وبقى بها الى زمن

---

(١) عن ابن الاثير وابن خلكان ومواسم الادب
(٢) عن كناش ابن مفلح

الأمير هشام بن عبـد الرحمن [١] . ثم انقطع مذهب الاوزاعىّ منها بعد المائتين وغلب المالـكىّ [٢] . وفى نيـل الابتهاج أن أهل الاندلس التزموا مذهب الاوزاعى حتى قدم عليهم الطبقة الاولى ممن لقى الامام مالـكا كزياد بن عبـد الرحمن والغازى ابن قيس وقرعوس ونحوهم فنشروا مذهبه وأخذ الأمير هشام الناس به فالتزموه وحملوا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه له

وفى بغية الملتمس للضبى أن هذا المذهب انتشر بالاندلس بيحيى بن يحيى بن كثير وتفقه به جماعة لا يحصون وتوفى سنة ٢٣٤ وقيل ٢٣٣ . وفى خطط المقريزى والديباج لابن فرحون أن أول من أدخله بالاندلس زياد بن عبد الرحمن القرطبى الملقب بشبطون قبل يحيى بن يحيى ، وكانت وفاة زياد سنة ثلاث وقيل أربع وقيل تسع وتسعين ومائة [٣] . وفى نفح الطيب تفصيل لذلك ملخصه أن جماعة من أمثال شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبى هند وغيرهم رحلوا الى الحج في زمن هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل

---

(١) عن بغية الملتمس
(٢) عن الديباج
(٣) زاد فى نفح الطيب وقيل أربع ومائتين

مالك وسعة علمه وجلالة قدره ماعظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعه شبطون وهو أول من أدخل الموطأ الى الاندلس مكملا متقناً ، فأخذه عنه يحيى بن يحيى ، ثم أشار على يحيى بالرحيل الى مالك فرحل وأخذ عنه فكان انتشار المذهب به وبزياد وبعيسى بن دينار . وقال فى موضع آخر: ان سبب حمل ملك الاندلس الناس على هذا المذهب فى بعض الاقوال أن الامام مالكا سأل عن سيرته بعض الاندلسيين فذكروا له عنها ما أعجبه فقال : نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاماً هذا معناه وذلك لان سيرة بنى العباس لم تكن مرضية عنده ولقى منهم ما لقى مما هو مشهور . فلما بلغ قوله ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعى . قلنا وقد ذكر هذا السبب ابن نباتة أيضاً فى مسرح العيون إلا انه جعل ذلك فى زمن عبد الرحمن الداخل والذى أجمع عليه المؤرخون أن دخول المذهب كان فى زمن ابنه هشام

ثم زاد انتشار هذا المذهب بالاندلس وبالمغرب بانتقال الفتيا اليه فى دولة الحكم بن هشام وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكيناً

عنده مقبول القول فصار لا يولى القضاء إلا من أشار به فانتشر به مذهب مالك كما انتشر الحنفى بأبي يوسف فى المشرق [1]

وعلل ابن خلدون غلبة هذا المذهب على المغرب والاندلس تعليلا آخر فقال « أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وإن كان يوجد فى غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره الا فى القليل لما أن رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق فى طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فرجع اليه أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته ، وأيضاً فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكى غضاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع فى غيره من المذاهب » انتهى . قلنا وتقدم فى الكلام على الحنفى شيء عن سبب انقطاء بالاندلس وغلبة المالكى فيما رواه المقدسى

---

(١) عن المقريزى وبغية الملتمس ونفح الطيب

ولما قامت دولة بنى تاشفين بالمغرب الاقصى فى القرن الخامس واستولوا على الاندلس وتولى ثانيهم أمير المسلمين على ان يوسف بن تاشفين اشتد ايثاره لاهل الفقه والدين فكان لايقطع أمراً فى جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء وألزم القضاة بأن لايبتوا حكومة فى صغير الامور وكبيرها الا بمحضر أربعة من من الفقهاء فعظم أمر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده إلا من علم مذهب مالك فنفقت فى زمنه كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ماسواها وكثر ذلك حتى نسى النظر فى كتاب الله وحديث رسوله ﷺ فلم يكن أحد يعتنى بهما كل الاعتناء(١) ثم لما دالت دولتهم واستولى الموحدون على مملكتهم فى أوائل القرن السادس سلك خليفتهم مسلك عبد المؤمن بن على هذا المسلك فجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك فى الفروع ومذهب أبى الحسن الاشعرى فى الاصول(٢) وكان مقصده فى الباطن هو وابنه يوسف محو المذهب المالكى وحمل الناس على العمل بظاهر القرآن والحديث ولكنهما لم يتمكنا من ذلك(٣) فلما تولى حفيده يعقوب بن يوسف بن عبد

---

(١) عن المعجب للمراكشي

(٢) عن كامل ابن الاثير

(٣) عن المعجب للمراكشي

المؤمن تظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك فعظم أمر الظاهرية فى أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية نسبة لابن حزم رئيسهم الا أنهم كانوا مغمورين بالمالكية فظهروا وانتشروا فى أيام يعقوب ثم فى آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم (١) قال المراكشى فى المعجب : وفى أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذهب بعد أن يجرد مافيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة فى سائر البلاد كمدوَّنة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبى زيد ومختصره والتهذيب للبراذعى وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب . ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالاحمال فتوضع وتطلق فيها النار ، ثم أمر بجمع أحاديث من الصحيحين والترمذى والموطإ وسنن أبى داود والنسائىّ والبزّار والدارقطنى والبيهق ومسند ابن أبى شيبة فى الصلاة وما يتعلق بها ، فكان يملى هذا المجموع بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه ويجعل لمن يحفظه الجعل السنى من الكُسَى والاموال . انتهى ملخصاً

---

(١) عن كامل ابن الاثير

وكان فى القرن الرابع بالعراق والاهواز ومنتشراً بمصر وبلاد المغرب وغالباً على الاندلس على ما ذكره المقدسى فى أحسن التقاسيم

ويتبع المالكيةُ فى الاُصول عقيدةَ أبي الحسن الأشعرى بحيث لا يرى مالكى الا أشعرياً كما فى الطبقات ومعيد النعم للتاج السبكى

المذهب الشافعى

نسبة الى الامام محمد بن إدريس الشافعى القرشى رضى الله عنه المولود بغزة سنة ١٥٠ والمتوفَّى بمصر سنة ٢٠٤ وكان آية فى الفهم والحفظ واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره . ومذهبه ثالث الاربعة فى القدم ويقال لاصحابه أهل الحديث كالمالكية[١] بل كان اصطلاح أهل خراسان اذا أطلقوا « أصحاب الحديث » لا يعنون إلا الشافعية[٢] . وهو ممن أخذ عن الامام مالك ثم استقل بمذهب خاص قال ابن خلدون : رحل الى العراق بعد مالك ولقى أصحاب الامام أبى حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكاً رحمه الله فى كثير من مذهبه

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره كان أولاً بمصر وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان وتوران والشام واليمن ودخل ما وراء النهر وبلاد

---

(١) عن ابن خلدون وطبقات السبكى .
(٢) عن طبقات السبكى

فارس والحجاز وبعض بلاد الهند ودخل شيء منه افريقية والاندلس بعد سنة ٣٠٠ (١)

وكان الغالب على أهل مصر الحنفي والمالكي كما تقدم ، فلما قدم اليها الامام الشافعي انتشر بها مذهبه وكثر (٢) قال ابن خلدون وأما الشافعي فقلدوه بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس فى جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره : وكان الامام محمد بن إدريس الشافعي لما نزل على بنى عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة من بنى عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث ابن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر لظهور الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشى من سواهم الى أن

(١) عن الديباج والفوائد البهية

(٢) قال علي بن عبد القادر الطوخي فى كتابه (قضاة مصر) : ان عيسى ابن المنكدر قاضي مصر صاح فى وجه الامام الشافعي فقال : دخلت هذه البلدة وأمرها واحد ورأيها واحد ففرقت بينهم . يشير الى مخالفة متبعيه لاصحاب مالك ، فان أهل مصر قبل وجود الشافعي كانوا لا يعرفون الا رأى مالك . انتهى . وفيه نظر لان الحنفي كان معروفا أيضا عندهم

ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعى وأصحابه من أهل العراق والشام فعـاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه ، واشتهر منهم محيي الدين النووى من الحلبة التى ربيت فى ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام أيضـاً ثم ابن الرفعة بمصر وتقى الدين بن دقيق العيد ثم تقى الدين السبكى بعـدهما الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقينى فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر وكبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر . انتهى

ولما أخذت الدولة الايوبية فى انتعاش مذاهب السنة بمصر ببناء المدارس لفقهائها وغير ذلك من الوسائل جعلت للشافعى الحظ الاكبر من عنايتها نخصت به القضاء لكونه مذهب الدولة وكان بنو أيوب كلهم شافعية إلا المعظم عيسى بن العادل أبي بكر سلطـان الشام فانه كان حنفيـاً ولم يكن فيهم حنفى سواه وتبعه أولاده [١] وكان متغالياً فى التعصب لمذهبه وبعـده الحنفية من فقهائهم . ألف شرحاً على الجامع الكبير فى عدة مجلدات وله السهم المصيب فى الرد على الخطيب البغدادى فيما نسبه للامام أبى حنيفة

---

(١) عن ابن خلكان

فى تاريخ بغداد[١] ثم لما خلفتها دولة الترك البحرية وكان سلاطينها شافعية أيضاً[٢] استمر العمل فى القضاء على ذلك حتى أحدث الظاهر بيبرس القضاة الاربعة فكان لكل قاض التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب واجلاس الشهود وميز الشافعى باستقلاله بتولية النواب فى سائر بلاد القطر لا يشاركه فيها غيره كما أفرد بالنظر فى مال الايتام والاوقاف[٣] وكانت له المرتبة الاولى بينهم ثم يليه المالكى فالحنفى فالحنبلى[٤] ثم استمر الامر على ذلك فى الدولة الجركسية حتى استولى العثمانيون على مملكتهم فأبطلوا القضاة الاربعة وحصروا القضاء فى الحنفى لانه مذهبهم ولم يزل مذهب الدولة الى اليوم إلا أن ذلك لم يؤثر فى انتشار الشافعى والمالكى بين الاهلين لسابق تمكنهما وانتشارهما بينهم فبقيا غالبين على الريف والصعيد والشافعيّ أغلب على الريف

---

(١) عن الفوائد البهية

(٢) كان سيف الدين قطز المتولى قبل بيبرس حنفياً ولكن لم يؤثر ذلك فى مذهب الدولة لقصر مدته . وزعم السيوطى فى حسن المحاضرة أنه لم يعرف فيهم غير شافعى سواه

(٣) و (٤) عن صبح الاعشي . وذكر ابن بطوطة أن ترتيبهم بمصر مدة الملك الناصر كان بتقديم الحنفى على المالكى فلما ولى القضاء برهان الدين ابن عبد الحق الحنفي أشار الامراء على الملك الناصر بجلوس المالكى فوقه كما جرت بذلك العادة القديمة فعمل باشارتهم واستمر الامر على ذلك

المعبر عنه بالوجه البحري . وكانت شياخة الازهر ـ وهى رئاسة العلماء الكبرى ـ محصورة فى علمائه من سنة ١١٣٧ [١] الى أن تولاها من الحنفية الشيخ محمد المهدي العباسى سنة ١٢٨٧ مضافة الى الافتاء فلم تنحصر بعد ذلك فى مذهب من المذاهب ولكن لم يتولها حنبلى لقلتهم بمصر

وكان الغالب على أهل الشام مذهب الأوزاعىّ حتى ولىَ قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبو زُرعة محمد بن عثمان الدمشقى الشافعى فأدخل اليها مذهب الشافعى وحكم به وتبعه من بعده من القضاة وهو أوّل من أدخله الشام وكان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى مائة دينار وتوفى سنة احدى أو اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة [٢] وذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم أن الفقهاء بأقليم الشام فى زمنه أى فى القرن الرابع كانوا شافعية · قال : ولا نرى به مالكياً ولا داوديًّا

(١) أول ما استطعنا معرفته ممن تولى شياخة الازهر الشيخ محمد الخرشي المتوفى سنة ١١٠١ وكان مالكيا وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وتوفى سنة ١١٠٦ ثم انحصرت بعده فى المالكية الى سنة ١١٣٧ فانتقلت الى الشافعية

(٢) عن رفع الاصر والاعلان بالتوبيخ والثغر البسام فى قضاة الشام لابن طولون

وفى طبقات السبكىّ والاعلان بالتوبيخ للسخاوىّ أن هذا المذهب انتشر بما وراء النهر بمحمد بن اسماعيل القفّال الكبير الشاسىّ وتوفى سنة ٣٦٥ . وذكر المقدسىّ أنه كان الغالب على كثير من البلدان فى اقليم المشرق ككورة الشاس وإيلاق وطوس ونَسا وأبيوَرد وغيرها وكان بهراة وسجستان وسرَخْس ونيسابور ومرْو الى آخر ماذكره . وذكر أن سجستان وسرَخْس كانت تقع فيها عصبيات بين الشافعيّة والحنفيّة تراق فيها الدماء ويدخل بينهم السلطان . وذكر عن اقليم الديلم أن أهل قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان كانوا حنفية والباقون حنابلة وشافعية . وكان لايرى ببيار صاحبُ حديث الاّ شافعياً . وذكر عن اقليم القور الذى من بلاده الموصل وآمد الخ انتشار الحنفى والشافعى فيه . قال وفيه حنابلة . وذكر أن الشافعى كان الغالب على اقليم كرمان

وفى الاعلان بالتوبيخ أن الحافظ عبدان بن محمد بن عيسى المروزىّ هو الذى أظهر مذهب الشافعى بمرو وخراسان بعد أحمد ابن سيَّار وكان السبب فى ذلك أن ابن سيار حمل كتب الشافعى الى مرو وأعجب بها الناس فنظر عبدان فى بعضها وأراد أن

ينسخها فلم يمكنه ابن سيار فباع ضيعة له وخرج الى مصر فأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعي فنسخ كتب الشافعي ورجع الى مرو وابن سيار حيّ ومات عبدان سنة ٢٩٣ . وذكر أيضاً أن أبا عوانة يعقوب بن اسحاق النيسابوري الاسفرايني صاحب الصحيح المستخرج على مسلم أولُ من أدخل مذهب الشافعي وتصانيفه الى اسفراين وهو ممن أخذ عن الربيع والمزنيّ ومات سنة ٣١٦ . الى أن قال : وأبو اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلميّ الترمذي هو الذي حمل كتب الشافعي من مصر فانتسخها اسحاق ابن راهويه وصنف عليها (الجامع الكبير) لنفسه وهو ممن روى عن البويطي ومات سنة ٢٨٠ . وعن ابن سريج : انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق

وفي معجم البلدان لياقوت أن أهل الريّ كانوا ثلاث طوائف شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم فوقعت العصبية بين السنة والشيعة فتضافر عليهم الحنفية والشافعية وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف . ثم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية فكان الظفر للشافعية مع قلتهم فخربت محالّ الشيعة والحنفية وبقيت محلة الشافعية وهي أصغر محال الري ولم يبق من الشيعة والحنفية الا من يخفي مذهبه .

وذكر فى كلامه على ساوة التى بين الرى وهمذان أن أهلها كانوا سنية شافعية وكان بقربها مدينة يقال لها آوة أهلها شيعة امامية فكانت تقع بينهم العصبية

وفى الكامل لابن الاثير فى حوادث سنة ٥٩٥ ما نصه :

« وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية [1] وصار شافعى المذهب . وكان سبب ذلك أنه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا فى كثير من العلوم فأوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين أبا الفتح محمد بن محمود المروروذى الفقيه الشافعى فأوضح له مذهب الشافعى وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعياً وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجداً لهم أيضاً وأكثر مراعاتهم ، فسعى الكرامية فى أذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك. وقيل

---

(١) نسبة الى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ وقد اختلفوا فى ضبط كرام فقيل بتخفيف الراء وكسر الكاف أو فتحها وقيل بفتح الكاف وتشديد الراء . وكان محمد صاحب مذهب فى العقائد معروف الا أن المقريزى ذكر فى خططه أنه انفرد فى الفقه أيضا بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان وأجاز الصلاة فى ثوب مستغرق فى النجاسة وزعم أن العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام الى آخر ما ذكره مما يدل على أنه صاحب آراء فى الفروع ومنه يعلم معنى انتقال غياث الدين من هذا المذهب الى المذهب الشافعى

ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا فى خراسان قيل لهما ان الناس فى جميع البلدان يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأى أن تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفياً . والله أعلم »

وكان الحنفى غالباً على بغداد كما قدمنا ثم زاحمه فيها الشافعى وكانت له كثرة ومع أن الحنفى كان مذهب الدولة لم يمنع ذلك من تقليد بعض الخلفاء للشافعى كما فعل المتوكل وهو أول من فعل ذلك منهم [1] . وكان الحسن بن محمد الزعفرانى من رواة القديم عن الشافعى أحد من نشره فيها وتوفى سنة ٢٦٠ قال السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ « حج الربيع بن سليمان سنة أربعين ومائتين فالتقى مع أبى على الحسن بن محمد الزعفرانى بمكة فسلم أحدهما على الآخر فقال الربيع يا أبا على أنت بالمشرق وأنا بالمغرب نبث هذا العلم يعنى علم الشافعى » انتهى . يريد بالمغرب مصر لأنها كذلك بالنسبة لبغداد . وفى طبقات السبكى أن بنى أبى عقامة هم الذين نشر الله بهم مذهب الشافعى فى تهامة

هذا ما انتهى الينا علمه عن انتشار هذا المذهب بمصر وسائر بلاد المشرق وأما المغرب فلم يكن حظه منها كبيراً لغلبة المالكى

---

(١) عن محاضرة الاوائل

على بلاده حتى زعم المقدسى فى أحسن التقاسيم أنهم كانوا بسائر المغرب على عهده الى حدود مصر لايعرفونه وأنه ذاكر بعضهم مرة في مسألة فذكر قول الشافعى فقال : من الشافعى ؟ انما كان أبو حنيفة لاهل المشرق ومالك لاهل المغرب. قال ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعى ويقولون أخذ العلم عن مالك ثم خالفه . وقال عن القيروان ليس فى أهلها غير حنفى ومالكى مع ألفة عجيبة لاشغب بينهم ولا عصبية : و قال عن الاندلس ليس بها إلا مذهب مالك فان ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه . وفى الكامل لابن الاثير أن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بعد أن تظاهر بمذهب الظاهرية مال الى الشافعية فى آخر أيامه واستقضاهم على بعض البلاد

ويتبع غالب الشافعية فى الاصول مذهب أبى الحسن الاشعرى . قال التاج السبكى فى الطبقات : إن غالبهم أشاعرة لايستثنى إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لايعبأ الله به

المذهب الحنبلى

نسبة الى الامام أحمد بن حنبل الشيبانى رضى الله عنه المولود بيغداد سنة ١٦٤ والمتوفى بها سنة ٢٤١ وقيل ولد بمرو وحمل الى بغداد رضيعا . ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين . وكان من خواص أصحاب الامام الشافعى أخذ منه ولم يزل مصاحبه الى أن ارتحل الشافعى الى مصر . وكان منشأ هذا المذهب بيغداد ثم شاع فى غيرها ولكن دون شيوع باقى المذاهب [1] قال ابن فرحون فى الديباج « وأما مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله فظهر ببغداد ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وضعف الآن » أى فى القرن الثامن . وقال ابن خلدون « وأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته فى معاضدة الرواية وللاخبار بعضها ببعض . وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث »

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهوراً بيناً الى القرن السابع وعلله السيوطى فى حسن المحاضرة بقوله « وهم بالديار المصرية قليل

---

(١) عن الفوائد البهية

جسداً ولم أسمع بخبرهم فيها إلا فى القرن السابع وما بعده وذلك أن الامام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا فى القرن الرابع وفى هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلا ونفياً وتشريداً وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ولم يزولوا منها إلا فى أواخر القرن السادس فتراجعت اليها الائمة من سائر المذاهب وأول امام من الحنابلة علمت حلوله بمصر الحافظ عبد الغنى المقدسى صاحب العمدة » انتهى . وذكر المقريزى في خططه أنه لم يكن له وللمذهب الحنفى كبير ذكر بمصر فى الدولة الايوبية ولم يشتهر إلا فى آخرها انتهى . ثم زاد انتشاره بها بعد ذلك فى زمن القاضى عبد الله بن محمد بن محمد عبد الملك الجحاوى المتولى قضاء قضاة الحنابلة بمصر سنة ٧٣٨ والمتوفى سنة ٧٦٩ كما فى السبل الوابلة (١)

وذكر المقدسى أنه كان موجوداً فى القرن الرابع بالبصرة وبأقليم أقور والديلم والرحاب وبالسوس من أقليم خوزستان وأن الغلبة فى بغداد كانت له وللشيعة . وذكر فى كلامه على مصر أن الفتيا فى زمنه كانت فيها على مذهب الفاطمى إلا أن سائر

---

(١) السبل الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد بن حميد المكى وهو فى طبقاتهم

المذاهب كانت موجودة ظاهرة بالفسطاط قال وثم محلة الكرامية وجلبة للمعتزلة والحنبلية . قلنا ومهما يكن من انتشاره فى كثير من البلدان فان مقلديه فيها قليلون في كل عصر والى ذلك يشير الخفاجى فى الريحانة فى ترجمة زين الدين محمد الانصارى الخزرجى بقوله « تفقه على مذهب أحمد بن حنبل . فكان لطلابه سهل المورد عذب المنهل . (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم فى كل عصر أقل من القليل . وهكذا الكرام كما قيل :

يقولون لي قد قلّ مذهب أحمد وكل قليل فى الأنام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطتم بزعمكم ألم تعلموا أن الكرام قليل
وما ضرّنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل »

انتهى . ولم نسمع له بغلبة على ناحية إلا على البلاد النجدية الآن وعلى بغداد فى القرن الرابع ، واستفحل أمره بها حوالى سنة ٣٢٣ قال ابن الاثير فى حوادث هذه السنة « وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا فى البيع والشراء ومَشْى الرجال مع النساء والصبيان فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو فأخبرهم والا ضربوه

وحملوه الى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة فارهجوا بغداد. فركب بدر الخرشنيّ وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى فى جانبى بغداد فى أصحاب أبى محمد البربهارى الحنابلة ألاَّ يجتمع منهم اثنان ولا يتناظرون فى مذهبهم» الى إن قال «فلم يفد فيهم وزاد شرّهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد ، وكانوا اذا مرّ بهم شافعىّ المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت فخرج توقيع الراضى بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم » الى آخر ما ذكره . ولا ريب أن اثارة أمثال هذه الفتن لم تكن الا من عصبية عامتهم وغوغائهم ، وكثيراً ما كانت ترجع الى أمور اعتقادية يخالفهم غيرهم فيها لانفراد أصحاب هذا المذهب بعقيدة خاصة فى الاصول . وذكر التاج السبكى فى الطبقات أن أكثر فضلاء متقدميهم كانوا أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الاشعرى الا من لحق بأهل التجسيم قال وهم فى هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم

الخاتمة

أخذت المذاهب الاربعة تتغلب مع الزمن وغيرُها من المذاهب السنية يدرس حتى اذا كان القرن السابع تمَّ لها التغلّب والتمكن وأفتى الفقهاء بوجوب اتباعها فدرس ما عداها الا بقايا من الظاهري بقيت فى بعض البلاد الى القرن الثامن ثم درست كما قدمنا. قال المقريزي « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولىَ بمصر[1] والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعىّ ومالكىّ وحنفىّ وحنبلىّ ، فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هـذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعرى وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لاحد هذه المذاهب وأفتى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها

(١) المراد بمصر الفسطاط وكانت منفصلة عن القاهرة ثم اتصلت بها بعد ذلك وصارت قسما من أقسامها يعرف اليوم بقسم مصر العتيقة

والعمل على هذا الى اليوم » انتهى . ولا ريب فى أن المراد عند جمهور المسلمين ، والا فمذهب الاباضية كان ولم يزل معمولا به فى بلادهم شرقاً وغرباً وفقه الشيعة معمول به فى فارس وغيرها من البلدان . وفى قوله « وعقيدة الاشعرى » نظر لأن الحنفية يتبعون فى الاصول عقيدة الماتريدى الا أن يكون عدهم من الاشعرية بالمعنى الذى أراده التاج السبكى وسبق لنا بيانه . وكأنه لم يعتدّ بالحنابلة لقلتهم مع أن لهم عقيدة خاصة كما قدمنا

ولنختم هذا البحث بمبلغ انتشار هذه المذاهب الآن عند جمهور المسلمين مستندين فى الكثير منه على مصادر افرنجية لقلة الموجود منها بالعربية فنقول : الغالب على المغرب الاقصى الآن المذهب المالكى وهو الغالب أيضاً على الجزائر وتونس وطرابلس لا تكاد تجد فيها من مقلدى غيره الا الحنفية بقلة وهم من بقايا الاسر التركية وأكثرهم فى تونس ومنهم أفراد بيت الامارة بها ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفى مشاركا للقضاء المالكى وأما سائر أعمالها فقضاتها مالكية وفي الحاضرة كبيرا المفتين وهما الحنفى ويلقب بشيخ الاسلام وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع والمالكى وله المقام الثانى ، وقد تساهلوا الآن فى تلقيبه بشيخ الاسلام أيضاً . ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفى فان من السنن

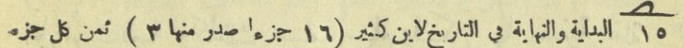
المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرّسى جامع الزيتونة حنفية ، والنصف مالكية . وانما امتاز الحنفى بذلك لكونه مذهب الاسرة المالكة

ويغلب فى مصر الشافعى والمالكى الاول فى الريف والثانى فى الصعيد والسودان ويكثر الحنفى وهو مذهب الدولة والمتبع فى الفتوى والقضاء والحنبلى قليل بل نادر . ويغلب الحنفى فى بلاد الشام يكاد يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية والربع حنابلة ويغلب الشافعى على فلسطين ويليه الحنبلى فالحنفى فالمالكى ، ويغلب الحنفى على العراق ويليه الشافعى وبه مالكية وحنابلة . والغالب على الاتراك العثمانيين والالبان وسكان بلاد البلقان الحنفى وعلى بلاد الاكراد الشافعى وهو الغالب على بلاد أرمينية لان مسلميها من أصل تركمانى أو كردى . والسنيون من أهل فارس أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية . والغالب على بلاد الافغان الحنفى ويقل الشافعى والحنبلى . وعلى تركستان الغربية التى منها بخارى وخيوة الحنفى وأما تركستان الشرقية المسماة أيضاً بالصينية فكان الغالب عليها الشافعى ثم تغلب الحنفى بسعى العلماء الواردين عليها من بخارى . والغالب على بلاد القوقاز وما والاها الحنفى وفيهم شافعية

والغالب فى الهند الحنفى ويقدر أتباعه بنحو ٤٨ الف الف وأتباع الشافعى بنحو الف الف ويكثر بها أهل الحديث والآثار وفيها مذاهب أخرى مما لم نتعرض لذكره . ومسلمو جزيرة سرنديب (سيلان) وجزائر الفلپين والجاوة وما جاورها من الجزائر شافعية وكذلك مسلمو سيام ولكن بها حنفية بقلة وهم النازحون اليها من الهنود . ومسلمو الهند الصينية شافعية وكذلك مسلمو استرالية . وفى البرازيل من أمريكا نحو ٢٥ الف مسلم حنفية وفى البلاد الامريكية الاخرى مسلمون مختلفو المذاهب وتبلغ عدّة الجميع نحو ١٤٠ الفاً

والغالب على الحجاز الشافعى والحنبلى وفيه حنفية ومالكية فى المدن وأهل نجد حنابلة وأهل عسير شافعية والسنيون في اليمن وعدن وحضرموت شافعية أيضاً وقد يوجد بنواحى عدن حنفية . والغالب على عُمان مذهب الأباضية ولكنها لا تخلو من حنابلة وشافعية . ويغلب على قَطَر والبحرين المالكى وفيهما حنابلة من الواردين عليهما من نجد . والغالب على اهل السنة فى الاحساء الحنبلى والمالكى . والغالب على الكويت المالكى . والله أعلم

بعض مطبوعات



بشارع الاستئناف — بالقاهرة

ص

١٥ البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١٦ جزءا صدر منها ٣) ثمن كل جزء

١٠ خزانة الادب الكبرى للبغدادى (١٠ أجزاء صدر منها ٤) اشتراك كل جزء

١٥٠ مجموعة صحيفة (الفتح) الاسلامية . السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسه والسادسة

٣ تاريخ الادب العربي (أوجز وأجمع كتاب دراسى)

٣ ذكرى موقعة حطين (أهم ماقيل فيها)

١ر٥ طائفة القاديانية للعلامة السيد محمد الخضر حسين

٥ الملاحن في اللغة لابن دريد

٣ الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (مجلدا ومشكولا)

٢ تقويمنا الشمسى . بقلم محب الدين الخطيب

٢ جب يوسف الصديق وقبره . تحقيق للاستاذ عبدالله مخلص

٨ مذكرات غليوم الثاني

٣ اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب . بقلم محب الدين الخطيب

٢ الازهر : ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه « «

٣ الدعوة الى الاصلاح للعلامة السيد محمد الخضر حسين

٢ الاسلام والاصلاح . تقرير السر ريتشارد وود الى وزير الخارجية البريطانية

٤ اليزيدية للعلامة المرحوم أحمد تيمور باشا

٢ تاريخ العلم العثماني « « «

٢ قبر الامام السيوطى « « «

٨ مقدمة الحضارات الاولى لجوستاف لوبون

٢ حياة سقراط للسيد محمد المكى الناصرى

٨ المؤتمر العربي الاول سنة ١٣٣١ (١٩١٣)

٥ اعمال الوفد السورى امام جمعية الامم وغيرها

٢ ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسى

ص

٥ دون كيخوتي (او دون كيشوت) مصور
٣ جزاء الخيانة (رواية تمثيلية عربية) تأليف السيدة لبيبة هاشم
٢ خطبة في أسباب الانشقاق بين السعديين والعدليين لعبد العزيز باشا فهمي
٢ عاصفة في مراكش بقلم مسلم بربري
٨ الميسر والقداح لابن قتيبة
٢ نقد علمى لكتاب الاسلام واصول الحكم للعلامة السيد محمد الطاهر بن عاشور
٤ منطق المشرقيين للرئيس ابن سينا
٢ الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى
٥ الغارة على العالم الاسلامي
٥ السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية للاستاذ خلاف
١٠ كتاب الخراج ليحيي بن آدم القرشي
٣ نظام النفقات في الشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ احمد ابراهيم
٦ حياة الامام ابى حنيفة للاستاذ الشيخ سيد عفيفي المحامي
١ر٥ رحلة الامام الشافعى بقلمه
١٠ الفقه الاسلامى (الجزء الاول) للاستاذ الشيخ محمد جابر
٢ الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير للسيد محمد سعيد الزاهرى
١ الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربية لعبد الباقى سرور نعيم
١٥ الخلفاء الراشدون (تاريخ) للاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار
٥٥ الحديقة (مختارات) لمحب الدين الخطيب، ١١ جزءا
٤ مكارم الاخلاق ومعاليها (من الحديث) للحافظ الخرائطي
٤ البرهان القاطع في اثبات الصانع لمحمد بن ابراهيم الوزير
٤ موجز في التربية وعلم النفس للاستاذ الشيخ حسين سامي
٢ نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها لاحمد تيمور باشا
٢ ابواب مختارة في اللغة للاصفهاني
٢ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد
٣ التذكير بالمرجع والمصير للشيخ كمال الدين الادهمي
٣٠ نيل الوطر فى تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (جزءان)
١٢ تاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع اليمنى